

العلاقات الحضارية بين صقلية النورمانية وبلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 5 هـ / 11 م

*Civilian relations between Norman Sicily and the Islamic Maghreb during the 5th century - 6Th Century / 11-12 AD*

العبد بكري<sup>1</sup>، مفتاح خلفات<sup>2</sup>  
Laid Bakri<sup>1</sup>, Mefteh Khelfat<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، الإيميل: [laid20192019@hotmail.com](mailto:laid20192019@hotmail.com)

<sup>2</sup> جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، الإيميل: [khelfat.mefteh@gmail.com](mailto:khelfat.mefteh@gmail.com)

تاريخ النشر: 2021/09/30

تاريخ القبول: 2021/09/15

تاريخ الاستلام: 2021/07/23

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية معالجة موضوع التواصل الحضاري بين صقلية وبلاد المغرب في الفترة الممتدة من 5 هـ / 11 م، زمن احتلال النورمان صقلية، وما ترتب عن ذلك من روابط الاتصال الثقافي والحضاري، عكس أحد جوانب التفاعل الإيجابي بين الشعبين، إلى جانب الوحدة الجغرافية، ساهم الاضطراب السياسي الذي عرفته صقلية في انتقال العلماء مما عزز التواصل ومد جسور التعاون بين الطرفين، وما عرف به النورمان من الاستفادة من ثقافة الآخر في تقوية هذا التواصل، كما تم إبراز مظاهر التأثير في المجال الثقافي شمل ميادين العلوم المختلفة، فكان لنشاط رحلات العلماء والأدباء أثر في تفعيلها، وفي المجال الحضاري تمثل في تأثير النورمان بنظم الحكم الإدارية الإسلامية والمحاكاة العمرانية، متخطين بذلك الرؤية السائدة التي صورت النورمان (الفايكنج) مجرد قراصنة بحريين، تقوم حياتهم على غارات النهب والسلب والبحث عن الغنيمة، وإغفال العوامل التي صقلت قدراتهم وقيمهم المعقدة وإسهاماتهم ولاسيما في هذا المجال الحضاري. مفندي أيضاً الطرح القائل بتراجع الحالة الثقافية وانقطاع الوصل الثقافي بين صقلية وبلاد المغرب، بعد زوال السيادة الإسلامية في صقلية، واضطراب الوضع السياسي ببلاد المغرب بقدموم العرب الهلالية، وتوالي غارات النورمان وهجماتهم على مدن وسواحل بلاد المغرب.

كلمات مفتاحية: النورمان، بلاد المغرب، التواصل الحضاري، صقلية.

**ABSTRACT:**

Through this paper, we seek to address the issue of cultural communication between Sicily and the inhabitants of the Maghreb from 5-6 Ah / 11-12 AD in the time of the Normans' entry into Sicily, their kingdom, their conquest of the African coast, and some of its regions which were governed by them and the resulting of cultural and cultural links and contacts, reflecting one of the positive interactions between the two peoples. The geographical unity and turmoil of Sicily's political situation, and what the Normans were known to take advantage of the culture of the other in strengthening it, and then highlighting the influences in the cultural field, including the different fields of science. The activity during the journeys of scientists and writers had an impact on their activation and in the field of civilization, including the urban nature and systems of governance, going beyond the prevailing vision that portrayed the Normans (Vikings) just a group of pirates whose lives are based on the use of raids and cruelty. And ignoring the factors that have refined their complex abilities and values and their contribution, especially in this field.

**Keywords:** Normans, Maghreb, Communication Civilization, Sicily.

## 1-مقدمة:

شكلت بلاد المغرب وصقلية وحدة جغرافية وسياسية وثقافية لم تنفصم عراها منذ العهد الأغلي (184.296هـ / 800 .908م)، كان لهذا الإرتباط الذي مس جميع مناحي التواصل الحضاري ترك ميراث حافلا ظل قائما إلى زمن سيطر النورمان على صقلية، وقيام مملكتهم، وبحكم قربها من بلاد المغرب، وما عرف به النورمان من سياسة التسامح اتجاه الثقافات الأخرى، استمر ذلك التواصل بقيام علاقات تفاعل بين الشعوب الإسكندنافية وساكنة بلاد المغرب في جانبه الإيجابي السلمي. تأسيسًا على هذا الطرح، يدفعنا فضول البحث، إلى دراسة موضوع التواصل الحضاري بين صقلية النورمانية وبلاد المغرب، زمن قيام دولتهم بها، وحكم بني زيري لبلاد المغرب وقيام دولة بني حماد، وذلك ببحث العوامل التي ساهمت في قيامه وعمقت جذوره وأواصره، وإبراز مظاهره وعلاقات التأثير والتأثر.

إن تحليلنا لمضامين الدراسات والأبحاث السابقة، يدفعنا إلى القول بأن دراسة العلاقات السلمية بين ساكنة بلاد المغرب والشعوب الإسكندنافية يعد إحدى الحلقات المنسية من تاريخ المغرب التي لم تنل حقاها من الدراسة والبحث، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، يفند الطرح الذي لطالما ارتبط باسم النورمان، بمباشرتهم الغزو والغارات، وما صاحبها من همجية وقتل والبحث عن المغنم والمكسب، وإهمال الجانب المُشرق الذي طبع حياتهم، والمتمثل في اهتمام النورمان بكل ما هو إيجابي لدى الطرف الآخر، والخاضع لسلطتهم والاستفادة منه.

إن عمق الحدث، يحتم علينا البحث عن مظاهر التواصل الثقافي والحضاري بين صقلية النورمانية وبلاد المغرب، وأحالتنا إلى طرح التساؤلات التالية: ما مظاهر التوصل الحضاري بين صقلية النورمانية وبلاد المغرب؟ وما العوامل التي ساهمت في تقويته وازدهاره؟ وفيما تتمثل علاقة التأثير والتأثر؟ وما خلفية انبهار النورمان الحضاري؟

نحاول من خلال هذه الدراسة، صبر أغوار هذا الموضوع، ببحث جذور هذا التواصل، والعوامل التي شجعت على قيامه بتقديم نماذج وأمثلة، إلى جانب الكشف عن طبيعة العلاقات التفاعلية التي جمعت شعوب المتوسط، مع الإشارة إلى الحرية الثقافية التي كانت سائدة، وصور الأخذ والعطاء في جانبه السلمي، بعيد عن أشكال الصدام والمواجهة العسكرية التي سادت لفترات، كان هدف النورمان تأمين دولتهم الناشئة والحصول على الثروات، مستغلين الوضع السياسي المضطرب لبلاد المغرب.

## 2-عوامل التواصل الحضاري:

ساهمت مجموعة من العوامل في حدوث تواصل ثقافي بين صقلية وبين بلاد المغرب، تعود إلى زمن دخول الإسلام أرض الجزيرة عن طريق بلاد المغرب، نتج عنها وجود وحدة فكرية جمعت القطرين، وبدخول النورمان صقلية استمر ذلك التواصل، وتقوى للعوامل بـ:

### أ-الوضع السياسي في صقلية.

احتلت صقلية موقعًا جغرافيًا هامًا في حوض البحر المتوسط وبين أوروبا وبلاد المغرب، حيث شكلت همزة وصل بين الشرق والغرب، الأمر الذي أهلها إلى أن تلعب دورا في عملية التواصل الحضاري مع العالمين المسيحي والإسلامي في العصور الوسطى ( رشيد تومي، 2011، ص. 73 )، تمكن المسلمون من انتزاعها من أيدي البيزنطيين في عهد الأغالبة سنة 212هـ / 827م، واتخذوا من بلرم عاصمة لهم، واستمرت تحت حكمهم ما يزيد عن القرنين والنصف 212 . 484هـ / 827 . 1091م، وأصبحت من مراكز الحضارة، بعد أن قامت بها حركة ترجمة التراث العربي في مختلف العلوم، وبلغت الجزيرة أوجها ازدهارها الحضاري في عهد ولاتها الفاطميين من أسرة الكلبين ( 336 . 431هـ / 947 . 1040م ) ( أمين توفيق الطيبي، 1990، ص. 117، صلاح المهنسي، 2004، ص. 34)، لم يدم ذلك الإشعاع الحضاري بالفترة الطويلة حتى اضطرب وضعها الداخلي، وتأثرت

بمجريات الساحة المغربية، عقب حركة انتقال السلطة من الزيريين إلى الفاطميين ثم التخلي عنها، مطلع النصف الأول من القرن 5هـ / 11م، ترك أثره على مناخ الحياة العلمية، كانت بدايتها بالخلاف الذي دب بين أمراءها، انتهى بصدامات عسكرية، أجبر الكثير من علماءها إلى الهجرة إلى مختلف الحواضر وبالخصوص بلاد المغرب، مما انعكس بالإيجاب على الحياة الثقافية. (علي بن محمد بن سعيد الزهراني، 1996، ص. 160).

هذا وقد أسهمت النزاعات الداخلية بين أهلها مع منتصف القرن 5هـ / 11م، وسقوطها في يد النورمان القادمين من جنوب إيطاليا (أمين توفيق الطيبي، 1990، ص. 148)، وبعد أن خضعت لحكمهم، فضل بعض علماء صقلية من المسلمين البقاء بها، (علي بن محمد بن سعيد الزهراني، 1996، ص. 160).

وكان لبقائهم أثر في استمرار التواصل الحضاري مع بلاد المغرب في ظل الحرية التي تمتعوا بها، ونالوا الحظوة لدى حكام صقلية الجدد، خاصة وأن النورمان كانوا من محبي الثقافة العربية، ومن المشجعين لها، ولقلة مستواهم الحضاري مقارنة بالمسلمين، اعتمدوا عليهم في مناحي الحياة المختلفة، واستمر ذلك التأثير لما يزيد عن قرن من الزمن، حيث حصل تفاعل كبير للكثير من الحضارات العربية واليونانية واللاتينية للإرث التاريخي التي حوته صقلية تحت حكمهم، وفي ظل سياستهم القائمة على الاستفادة من كل ما هو إيجابي (صلاح الهنسي، 2004، ص. 34. 39).

#### ب-تشجيع الحكام للعلم والعلماء:

حظي علماء صقلية المسلمين الوافدين بترحيب من طرف ملوك النورمان، ولقيت الحركة العلمية تشجيعاً ورعاية أحمد عزيز، 1980، ص. 87، الزهراني، 1996، ص. 511، أحمد توفيق المدني، د.ت، ص. 222)، وبخاصة روجار الثاني (495. 548هـ / 1101. 1154م)، الذي كان بلاطه مركزاً للعلوم، وكذا ابنه وليام الأول (548. 560هـ / 1154. 1166م)، فقد كانا يغدقان الأموال على العلماء، ويكتنفونهم بالاحترام ويرفعون من مراكزهم الاجتماعية، وسعوا إلى استمالة كل عالم شهير بالقدوم إليهم، ونشطت معها حركة الترجمة والنقل وبخاصة من العربية إلى اللغة اللاتينية واليونانية. (سليمان داود بن يوسف، 1993، ص. 41، شحاذة الناظور وآخرون، 1989، ص. 296)، ونتيجة لنشاط الحركة العلمية في صقلية، ورعاية أهلها للعلم والعلماء، ما دفع بالعلماء والمثقفين والشعراء إليها.

واهتم حكام بلاد المغرب من الزيريين والحماديين أيضاً بالعلم، وقربوا العلماء، وجادوا عليهم بالعطاء الكريم، فقد ذكر ابن الخطيب، أن الناصر بن علناس الحمادي (454. 481هـ / 1062. 1088م) مؤسس الحضرة الثانية للحماديين، كان يؤمه الأدباء ويقصده الشعراء فيغدون عليهم صلواته وعطاياه. (ابن الخطيب لسان الدين، 1964، ص. 96).

وأنصب إهتمام المعز بن باديس الزيري (406. 454هـ / 1015. 1062م) على جمع الكتب وإثراء مكتبات المساجد، ومن ذلك المسجد الجامع بالقيروان، كما كان له إهتمام بالخط ونسخ المصاحف (الهادي روجي إدريس، 1992، ص. 385، 386)، وكان يعي بن تميم الزيري (501. 509هـ / 1107. 1115م)، حسيماً أورده ابن أبي دينار في مؤنسه، مهتماً بمطالعة السير والأخبار الأولين، شاعراً فذاً، وعالماً بالنجوم والطب، في حين تميز الحسن بن علي (515. 543هـ / 1121. 1148م) أخر حكام بني زيري، بأنه كان مجتمعة الفكر، قوي النفس، ينظم الشعر. (ابن أبي دينار، 1286، ص. 88، 93).

وترتب عن اهتمام حكام القطر بالعلم والعلماء، أن انتشر التنافس الثقافي بين عواصم المغرب الإسلامي، وبرزت كل مدينة بلون من العلوم، غلب عليها، واشتهرت به، فبجاية كانت عاصمة للرياضيات، والمهدية عاصمة للبحوث الكيماوية، وصقلية عاصمة في نقل العلوم العربية إلى اللاتينية. (عبد الحليم عويس، 1991، ص. 249).

### 3-مظاهر التواصل الثقافي:

تتجلى مظاهر التواصل الحضاري في نشاط حركة انتقال علماء القطرين، تحت تأثير الظروف السياسية الحاصلة، أو للبحث عن الحظوة والمكانة لدى الحكام، وللاعتراف من معين كبار العلماء.

#### أ -رحلات علماء وأدباء المغرب إلى صقلية:

في ميدان الأدب، انتقل إلى صقلية، الشاعر عثمان بن عبد الرحمن المعروف ابن بشرون المهدوي (كان حيا سنة 549هـ / 1154م)، من بلاد إفريقية، عرف بملكته الشعرية، وكثرة قصائده، جمع ذلك في ديوان شعرٍ أسماه " المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر"، تضمن تراجم الشعراء والأدباء الذين كانوا بصقلية زمن الحكم النورماني، كما كان له علم ودراية بخصائص الأشياء، جمع ما كتبه في مؤلفٍ صنف على أنه في الكيمياء، وإلى جانب شاعريته مارس الحكم والإدارة، وأسندت إليه مناصب سياسية بالدولة النورمانية ( ابن حمديس عبد الجبار الصقلي، د.ت، ص. 2، مصطفى حاجي خليفة، د.ت، ص. 1924، مخائيل أماري، 1875.ص. 631، عباس إحسان.1975، ص. 265). لكن المصادر لا تُسَعِّفنا إلى زمن انتقاله، والظاهر من خلال ما أوردته المصادر كان في عهد روجار الثاني، الذي عُرف بثقته الكبيرة في قُدرات المسلمين واستعمالهم في الحكم والإدارة. ورحل إلى صقلية، الشاعر عبد الحليم بن عبد الواحد الإفريقي المولد، الصقلي الدار، من الشعراء البارزين الذين تغنوا بشاعريةٍ مفعمةٍ بحبِّ صقلية، لكنه في الأخير غادرها إلى بلاد المغرب، بسبب ازدياد الضغط النورماني الذي أدى إلى سقوطها، وله مقاطع من قصيدة بشعر الحنين إليها بقوله: [المتقارب] (أحمد عزيز، 1980، ص. 78):

عَشِقْتُ صِقْلِيَّةً يَافِعًا      وَكَانَتْ كَبْعُضِ جِنَانِ الْخُلُودِ  
فَمَا قَدَّرَ الْوَصْلُ حَتَّى اكْتَهَلَتْ      وَصَارَتْ جَهَنَّمُ ذَاتَ الْوَقُودِ

ورحل يحيى بن التيفاشي القصصي، من مدينته قفصة إلى قابس، وسكن بها، ومدح حكامها من بني هلال، ثم إنتقل إلى صقلية بعد سنة 550هـ / 1155م (مخائيل أماري، 1875، ص. 599). وكان التيفاشي قد مدح عبد المؤمن بن علي الموحد (524 . 558هـ / 1129 . 1162م)، عند وصوله إلى بلده، ثم انتقل إلى صقلية، لكنه تعرض للقتل بعد حادثة الفتك بالمسلمين إثر تحرير المهدية. (حسين مؤنس، 1986، ص. 192).

وفي ميدان الجغرافيا، ارتحل إلى صقلية العالم المبرز، والجغرافي الشهير، الشريف الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد إدريس ( 560هـ / 1165م)، ينتهي نسبه عند علي رضي الله عنه، ولد بسبة سنة 493هـ / 1100م، كان أديباً بليغاً، وشاعراً فذاً، مولعاً بعلم الجغرافيا، رحل إلى بلاد المشرق وطلب بها الحساب والهندسة والجغرافيا والفلك، وكانت له رحلات أخرى إلى أوروبا وسواحل المغرب والأندلس، أكسبته رحلاته ثقافة واسعة، شملت الفلسفة والأدب، وعلم النبات والطب، جمع في هذا إحاطته في بين العلوم العقلية والنقلية، مع حب الرحلة والأسفار، وميل إلى الجغرافيا . (الصفدي صلاح الدين، 2000، ص. 138، إبراهيم حركات، 2000، ص. 317، نجيب زيب، 1995، ص. 191).

لكن اللافت أن المعلومات المتعلقة بترجمة حياته وتكوينه الجغرافي محل خلافٍ، من طرف الباحثين ولاسيما المستشرقين منهم، افتراضات واستنتاجات غير مؤسسة على دليل ثابت أو سندٍ صحيحٍ، بناءً على إشاراتِه هو نفسه في مقدمة كتابه (نزهة المشتاق)، ببعض جوانب من حياته، أو من المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عنه، على حسب تعبير حسين مؤنس. (حسين مؤنس. 1986 ص 192).

وكان الشريف الإدريسي (560هـ / 1165م)، قد دخل في خدمة رُوجار الثاني ( 495 . 548هـ / 1101 . 1154م) حاكم صقلية، وقيل أنه استدعاه من العُدوة عن طريق من توسَّط بينهما، واقتناعا منه أن روجار الثاني من سلالة الملوك، أشاد

بنجاحاته في حكم المملكة، وفي تحقيق أمنها واستقرارها، وخصه بلقب حامي الأمم النصرانية قاطبة. (الصفدي صلاح الدين، 2000، ص. 138، حسين مؤنس، 1986، ص. 192، 1، P. Martine CohenK. 2001).

فما كان من رُوجار الثاني إلا أن قربه من مجلسه، ونال عنده الحظوة، وأكرمه وبالع في تعظيمه، ولم يكن الإدريسي لما قدم على صقلية ينوي الإقامة بها، لكن رُوجار رغبه في المقام عنده، وقال له، أنت من بيت الخلافة، ومتى كنت بين المسلمين عملَ ملوكهم على قتلك، ومتى كنت عندي أمنتَ على نفسك. (مخائيل أماري، 1875، ص. 658، حسين مؤنس، 1986، ص. 177).

ولما قبل الإدريسيّ المقام عند روجار، صنف له كتاب، قيل برغبته، وقيل بطلب من روجار بعد أن طلب منه أن يضع له شيئاً في صورة العالم، فاستجاب الإدريسي لطلبه، حيث رتبهُ على أقاليم الأرض السبعة، وأورد فيه أوصاف البلاد والممالك مستوفيةً وبين المسافات بالميل والفرسخ. (مصطفى حاجي خليفة، د.ت، ص. 1924، علي بن محمد بن سعيد الزهراني، 1996، ص. 12).

وكتب المؤلف بحروف عربية، جمع ذلك فيما أسماه "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق"، وحمل المؤلفُ اسماً ثاني "كتاب روجار"، شرع في تأليفه سنة 549هـ / 1154م، واحتوى شيء من التفضيل لمحتويات الكرة الأرضية، تتعلق بأشكال التضاريس والسكان، والإنتاج والصناعات، والأنشطة التجارية، وأرفق الكتاب بمجسم لكرة فضية كبيرة محفورة على لوحة فضية ترن 150 كيلوغراماً. (الصفدي صلاح الدين، 2000، ص. 138، P. 11 ernández Peral, Álvaro, 2008). وكان هذا الكتاب، موجه إلى أولئك الذين يحبون الرحلات، ويستمتعون بالسفر حول العالم، وهو من أكثر الكتب رواجاً، تضمن أعمالاً مهمة في الجغرافيا خلال العصور الوسطى. (Cristina Montesi. 1975. P. 29).

ويذكر الإدريسي أن سبب تأليفه للكتاب، إنما تحقيقاً لرغبة الحاكم رُوجار، الذي أراد أن يعرف حقيقة البلاد التي هي تحت سيطرته، وحدود الأقطار والبلدان إذ يقول في مقدمته: «لما اتسعت أعمال مملكته، وتزايد هم دولته وأطاعته البلاد الرومية، أحب أن يعرف كيفيات بلاده حقيقةً وقيماً وخبرة، ويعلم حدودها وممالكها براً وبحراً، مع معرفة غيرها من الأقاليم في الأقاليم السبعة» (الإدريسي محمد الشريف، د.ت، ص. 5، ميخائيل أماري، 1875، ص. 14).

ومجدد الإدريسي في افتتاحية الكتاب روجار الثاني، وبالع في وصفه، ولقبه بألقاب كان لا يوصف بها إلا خلفاء الإسلام، ومن ذلك قوله: «فإن ما أقل ما عني به الناظر وأشعل الأفكار والخواطر، ما سبق إليه الملك المعظم روجار المعترف بالله المقتدر بقدرته، ملك صقلية الناصر للملة النصرانية، إذ هو خير من ملك الرُوم بسطاً وقبضاً» (الإدريسي محمد الشريف، د.ت، ص. 4).

ويعتبر مؤلف نزهة المشتاق، أعظم موسوعة جغرافية خرجت من صقلية، تلتقي فيه الجغرافيا القديمة بالجغرافيا الحديثة، يجمع فيه بين الجغرافيا الطبيعية والبشرية، واستطاع الإدريسي من خلاله أن يتصدى لأول عملٍ جغرافي كاملٍ عن الأرض، معتمداً على أساس علمي تجريبي، فهو من ناحية القمة التي وصل إليها العلم الجغرافي في العصور القديمة والوسيطة، ومن ناحية أخرى أول جغرافي حديث (حسين مؤنس، 1986، ص. 215، 204، علي بن محمد بن سعيد الزهراني، د.ت، ص. 13)، تحصل الأوروبيون من خلاله على معلومات مهمة، تتعلق بالهند والصين والنصف الشمالي للكرة الأرضية، أفاد المؤلف بحقائق أكدها العلم الحديث اليوم، ومنها كروية الأرض، هذا وقد أشار الإدريسي إلى هذه الحقيقة في مقدمة كتابه (أمين توفيق الطيبي، 1990، ص. 130).

## ب -رحلات علماء وأدباء صقلية إلى بلاد المغرب:

ازدهرت الحياة الأدبية في صقلية خاصة في عهد حكم الأسرة الكلبية ( 336 . 437 هـ / 947 . 1053 م )، لاهتمام حكامها بهذا الفن، وكان منهم من يسترسل في الكتابة ويقرض الشعر، إضافة إلى شعور أهل الجزيرة بنوع من الاستقلال السياسي والحرية الثقافية، ونتج عن ذلك أن قصد الأدباء بلاطاتهم، وظهر جيل ارتبط بصقلية أرضاً وثقافة، برز بشكل جلي في مصنفاتهم الأدبية، ووصل الأدب إلى أزهى مراتبه ( علي بن محمد بن سعيد الزهراني، 1996، ص. 420 )، لكن وبعد أن تمكن النورمان من غزو الجزيرة واحتلالها، دفعت هذه الظروف الأدباء والفقهاء والشعراء إلى مغادرتها، باتجاه بلاد المغرب، للبحث عن مكانٍ آمنٍ للعيش، وتطلعاً إلى مستقبل أفضل ( أحمد عزيز، 1980، ص. 89 ).

وكانت مقصدهم بلاد المغرب بحكم القرب الجغرافي، وتدافع عددهم بشكل كبير، واتضحت معاملته مع بداية الغزو النورماني لصقلية، وبعد سقوطها النهائي، (مخائيل أماري، 1875، ص. 276، علي بن محمد بن سعيد الزهراني، 1996، ص. 527)، وفي شأن ذلك يقول ابن الخطيب: «كان من جملة من انتقل عنها عند الحادثة، الشرفاء المستقر بعضهم بمدينة فاس، وقد غيّر انتسابهم إلى صقلية بالقلب...ومن الفقهاء والقضاة والمحدثين جملة...ومن الكتاب والبلغاء والشعراء المفلّحين» (ابن الخطيب لسان الدين، 1964، ص. 132، 133).

ففي ميدان الأدب، كان من الذين حصل انتقالهم إلى بلاد المغرب، أبو طاهر الصقلي (محمد بن أبي الفرج من المازري ت سنة 527 هـ / 1036 م)، العالم بفنون العربية ومنها النحو والصرف، الذي استقر بالقيروان ودرّس فيها، وتّفقّه عليه بالمغرب أبو الفضل النحوي، والقاضي أبو عبد الله بن داود، له مؤلفات عديدة منها "الاستيلاء" و"تعليق في المذهب"، ومؤلف "العنوان في القراءات" (الدباغ أبو زيد عبد الرحمان. د.ت، ص. 203، علي بن محمد بن سعيد الزهراني، 1996، ص. 518، أحمد عزيز، 1980، ص. 87).

وانتقل إلى بلاد المغرب كذلك، أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي النحوي (ت سنة 536 هـ / 1142 م) المعروف بابن مكي، عرف بالبراعة في الفقه واللغة الشعر وكانت معظم قصائده حِكْمٌ ومواعظ، تولى التدريس، فكان من تلامذته ابنُ البر، تولى منصب القضاء في صقلية، ثم في تونس عند انتقاله إليها مع بداية الغزو النورماني، وإليه ينسب كتاب "تثقيف اللسان وتلقيح الجنان" (ابن مكي أبي حفص، 1990، ص. 4، ميخائيل أماري، 1875، ص. 598، أحمد عزيز، 1980، ص. 88). واسترشد كثيرا بأراء ابن رشيد النقدي في شعر فحول العرب كالمُتنبّي وجميل بثينة وغيرهم. (علي بن محمد بن سعيد الزهراني، 1996، ص. 524)، وقد سجل في هذا الكتاب الأغلاط التي سمعها من أفواه العلماء، وزعه على خمسين بابا، والسبب الذي دعا ابن مكي إلى تأليفه، ما أصاب اللغة العربية من اللحن بعد دخول الأعاجم الجزيرة، وقد وصف الكتاب بأنه نهاية في الملاحاة والبيان، ودليل على غزارة علم صاحبة، وكثرة حفظه (ميلود حاميداتو، 2014، ص. 100، 101).

ونزل بلاد المغرب، النحوي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد المعروف بابن ظفر (ت 565 هـ / 1170 م)، ولد بصقلية زمن روجار الثاني، وانتقل إلى المشرق لتلقي العلم، وتنقل بين أقطار المغرب، ثم عاد إلى صقلية كان علماً بالنحو واللغة، أطلق عليه حجة الإسلام، عرف بكثرة تأليفه ومنها "سلوان المطاع في عدوان الطّباع" وقيل الإتياع، صنفه لبعض قواد صقلية وقد عُدَّ له أزيد من ثلاثة وثلاثون مؤلفا، منها مؤلف "خير البشر بخير البشر" و"كتاب الينبوع"، و"كتاب الحاشية على دُرّة الغواصي"، وأنباء نجباء الأبناء"، و"شرح مقامات الحريري" (ابن خلكان أبي العباس، 1994، ص. 395، 196. ابن قنفذ أبي العباس، 1983، ص. 285، مخائيل أماري، 1875، ص. 418)، ويعتقد أن مؤلفاته العديدة قد انتقلت إلى بلاد المغرب بانتقاله إليها.



ومما يعكس مظاهر التأثير المتبادل أن عددا من شعراء صقلية زاروا بلاد المغرب، ومدحوا الأمراء والحكام، وحسبنا في ذلك أبو الحسن علي بن الحسن بن الطوبي، الذي اتصل بالمعز بن باديس (454. 501هـ / 1062. 1107م)، وامتدحه وهو ما أشار إليه العماد الأصفهاني (ت 597هـ / 1201م) في الخريدة «وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه وله فيها قصيدة رصع بها ديوانه»، وفي الإشارة إلى تفوقه في الأدب وملكته الشعرية بقوله: «إمام البلغاء، وزمّام الشعراء، مؤلف دقاتر، ومصنّف جواهر، ومقلّد دواوين ومُعتمد سلاطين» (مخائيل أماري، 1875، ص. 590).

ومنه أيضاً ابن حمديس الصقلي، واسمه عبد الجبار أو محمد بن أبي بكر الأزدّي وأشتهر بابن حمديس، ولد في سرقوسة سنة 447هـ / 1055م، من أسر نبيلة من عائلة محافظة، تجمع بين الثقافة الدينية والحكمية، وهو ما أشادت به المصادر التاريخية والأدبية، إلا أنها لا تشير إلى أماكن دراسته ووسطه العلمي، لكنها تعرج عن ثقافته الأدبية من قول الشعر في صباه، وثقافته الحكمية (الطبية)، جعلته يتحدث عن الصحة والمرض، والهواء والغذاء، لكنها اخفت جانباً من قلة التدين، ومن ذلك تردده على الحانات والأديرة لشرب الخمر خاصة في مرحلة شبابه (ابن حمديس عبد الجبار الصقلي. د.ت، ص. 3، 4).

رحل ابن حمديس إلى الأندلس سنة 471هـ / 1084م، واتصل بالمُعتمد حاكم اشبيلية، وأشاد بالانتصارات المحققة في معركة الزلاقة عام 479هـ / 1086م، وإلحاق الهزيمة بأذفونش (ألفونسو السادس) صاحب قشتالة على يد يوسف بن تاشفين المرابطي وحليفه المعتمد بن عباد، فأحسن إليه المعتمد وأجزل له عطايها. (ابن خلكان أبي العباس، 1994، ص. 214، أحمد عزيز، 1980، ص. 91).

ودام اتصاله بابن عباد ما يزيد عن ثلاث أعوام، خصه بقصائد مدح عقب انتصاراته على الإسبان، وأثناء مكوثه عند المعتمد ابن عباد، كان يتتبع أحداث صقلية، ويشيد بانتصارات أهلها على الإسبان، ويحثهم على مواصلة القتال، إلى أن سقطت في يد النورمان سنة 484هـ / 1081م، وكان لسقوطها وقع على نفسيته وشاعريته، وزادت حسرتة عندما وقع ولي نعمته المعتمد في الأسر من المرابطون ونفوه إلى أغمات بالمغرب (ابن حمديس عبد الجبار الصقلي. د.ت، ص. 12، رشيد بورويبة، 1999، ص. 176، رايح بونار، 2000، ص. 240، 241).

وبعد هذه الحادثة، رحل ابن حمديس من الأندلس إلى شمال إفريقيا، مجرباً حظه في بلاط بني زيري، فمدح تميم بن المعز، ويعي بن تميم، وعلياً بن يحيى، والحسن بن علي، ومن مدحه لتميم بن المعز (454. 501هـ / 1062. 1107م)، أمير المهديّة وتفجعه على دخول الروم صقلية قوله: [الطويل]

تَدَرَعْتُ صَبْرِي جُنَّةً لِلنَّوَابِ  
فَإِنْ لَمْ تُسَالَمْ يَا زَمَانُ فَحَارِبْ  
عَجَمْتُ حَصَاةً لَا تَلِينُ لِعَاجِمٍ  
وَرُضْتُ شَمُوسًا لَا يَذَلُّ لِرَاكِبِ

(ابن حمديس عبد الجبار الصقلي، د.ت، ص. 28، أحمد عزيز، 1980، ص. 91).

وقال يهئ على بن يحيى (509. 515هـ / 1115. 1121م)، بعد إخضاعه لمدينة جربة: سنة 510هـ / 1116م، بعد أن حاصرها وأقرأ أهلها على السمع والطاعة. (ابن عذارى أحمد المراكشي، 1983، ص. 306) بقوله: [الطويل]

كَفَى سَيْفَكَ الْإِسْلَامَ عَادِيَةَ الْكُفْرِ  
وَصَلَّتْ عَلَى الْعَادِينَ بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ  
وَأَصْبَحَ قَوْلُ الْمُبْطِلِينَ مَكْذَابًا  
وَمَدَّ لَكَ الرَّحْمَانُ فِي أَمَدِ الْعُمُرِ  
وَأَيْنَ الَّذِي حَدَّ الْمَنْجَمُ كَوْنَهُ  
إِذَا مَرَّ لِلصَّوَامِ عَشْرَ مِنَ الشَّهْرِ

(ابن حمديس عبد الجبار الصقلي، د.ت، ص. 224).

وقال يمدح الحسن بن علي آخر حكام بني زيري (515. 543هـ / 1121. 1148م) بقوله: [المنسرح]

هذا ابتداءً له عند العلى خَبَرُ      يُحْكِي فَيُصْنَعِي إِلَيْهِ الشُّهْبُ والبَشْرُ  
كأنه وهو من مَثْنِ الصَّبَا مَثَلٌ      من كلِّ قُطْرٍ مِنَ الدُّنْيَا له خَبَرُ  
ما اسْتُخْسِنَ الدهر حتى زانه حَسَنٌ      وأشرق في الوري أيامه الغرر

(ابن حمديس عبد الجبار الصقلي. د.ت ص 218 ب).

ويبدو أن اضطراب أحوال الحسن بن علي قد صرف ابن حمديس عنه إلى غيره، فاتصل بأحمد بن خرسان، وبكرامة المنصور (تولى سنة 522هـ / 1128م) ودخل بلاد بني حماد في بجاية ووزراءهم من بني حمدون، فمدح المنصور بن الناصر (تولى سنة 481هـ / 1088م)، الذي كان مؤلعا بالبناء، فوصف القصور التي أقامها في قصائده، ورثى أبا الحسن بن علي من بني حمدون. (ابن حمديس عبد الجبار الصقلي. د.ت، ص. 15 ج، أحمد عزيز، 1980، ص. 91).

ورغم أن ابن حمديس قد تقرب من ملوك وحكام بني زيري وبني حماد، إلا أنه كان دائم التذكروالحنين لموطنه (صقلية)، وإلى جمال مناظرها الطبيعية، جمع ذلك في قصائد عرفت بالصقليات، صَوَّرَ فيها وطنه في صِراعه مع الأعداء، كما صَوَّرَ ذكرياته هناك (ابن حمديس عبد الجبار الصقلي. د.ت ص 17 و، أحمد عزيز، 1980، ص. 92).

وقد كان المعاصرون له، ومن جاء بعدهم يعجبون بمعانيه المبتكرة، واستعماله للصَّوَر في قصائده، والدقة الجزئية في شعره، الذي أخذ الطابع الوصفى، قال ابن خلكان نقلاً عن ابن بسام في حقه: «هو شاعر ماهر، يقرطس أغراض المعاني البديعة، ويعبر عنها بالألفاظ النفسانية الرفيعة، ويتصرف في التشبيه المصيب، ويغوص في بحر الكلم على دار المعنى الغريب» (ابن خلكان أبو العباس، 1994 ص 212).

ويستعمل ابن حمديس عبارات نادرة في مفرداته، متأثراً بشعر المتنبي، والشعر الأندلسي، خاصة في صباه، وفي مفرداته التصويرية، وتلاعبه بالصور الخيالية، وميله إلى استعمال المحسنات البديعية، وأخذ منحنى شعراء بني العباس في وصف القصود (أحمد عزيز، 1980، ص. 91، 92)، وقيل إن صقلية لم تنجب مثله في قول الشعر، وضأهى شعراء المغرب قوةً وشهرةً، متأثراً في شعره بثلاث بيئات (صقلية، الأندلس، المغرب)، وهو ما انعكس إيجاباً في إنفتاح ملكته الشعرية. (ابن حمديس عبد الجبار الصقلي، د.ت، ص. 17 أ).

وجمع ابن حمديس قصائده في ديوان سمي بديوان ابن حمديس، والواضح أنه أفلاذ على أحد الرواة، ذلك أنه ذكر مناسبات القصائد بدقة، وقيل إنه موجود بأيدي الناس في زمانه (ابن حمديس عبد الجبار الصقلي. د.ت، ص. 22، 24 ب، رشيد بورويبة، 1999، ص. 176)، وبقي ابن حمديس يتنقل من مكان إلى آخر إلى أن توفي بميورقة سنة 527هـ / 1132م، وقيل ببجاية. (ابن خلكان أبو العباس، 1994، ص. 214).

وفي ميدان العلوم الدينية، تفيض المصادر التاريخية بذكر عددًا الصقليين المالكين الذين دخلوا بلاد المغرب، نذكر منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن عم التميمي المازري (ت 536هـ / 1142م)، نسبة إلى مدينة مازر مدينة بصقلية، أخذ عن شيوخ بلده عن أبي القاسم السيوري وبالقيروان، ثم فضل الاستقرار بقلعة بني حماد. (الدباغ أبو زيد عبد الرحمن، د.ت، ص. 203، 204، ابن قنفذ أبو العباس، 1983، ص. 277، 278، ابن العماد عبد الحى، د.ت، ص. 186، 187، مخائيل أماري، 1875، ص. 43، 47، أحمد عزيز، 1980، ص. 87).

قال عنه القاضي عياض في مؤلفه الغنية: «إمام بلاد إفريقية وما وراءها من بلاد المغرب، وآخر المستقلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد، ودقة النظر...كتب إلي من المهدية يُجيزني في كتابه المُسمى بالمعلم في شرح مسلم» (عياض



أبو الفضل، 1982، ص. 65)، ويتعرض الكتاب إلى نتف من قضايا طبية، وما يعترى الإنسان من صحة ومرض، باعتبار أن المازري قد درس الطب وبرع فيه. (تقي الدين عارف الدوري، 1989، ص. 204).

وعلى مؤلفه بني القاضي عياض كتاب الإكمال، وإيضاح المحصول، ذاع صيته في الفقه المالكي وعلم الكلام، وراجت مؤلفاته ومنها، كتابُ المعلّم في شُرْح مُسْلِم، وهو شرح لصحيح مسلم، إضافة إلى مؤلفات تتعلق بشرح الأحاديث النبوية، انصب اهتمامه في إفريقية بتحقيق العلم، ورتبة الاجتهاد، ودقة النظر، وإليه يفرغ في الفتيا في الفقه، كما يفرغ إليه الفتيا في الطب، وقد ذُكِرَ أن ابن تومرت المهدي مؤسس حركة الموحدية كان من بين تلامذته، (ابن العماد عبد الحفي، د.ت، ص. 186، 187، الدباغ أبوزيد عبد الرحمن، د.ت، ص. 203، 204، ابن قنفذ أبو العباس، 1983، ص. 277، 278، مخائيل أماري، 1875، ص. 43، 47).

#### 4-مظاهر التواصل الحضاري:

ابتعد النورمان في سياستهم عن التعصب العرقي والديني، سواء في صقلية مقر الحكم، أو في المناطق التي خضعت لحكمهم، وفي الاستفادة من القدرات والكفاءات سواء كانت عاملة أو عاملة، هذا ما سهل عملية الانتقال بين صقلية وبلاد المغرب، وكان من جملة من إنتقل إلى صقلية العلماء والأدباء والصناع والحرفيين، وانعكس ذلك على مجال العمران هندسة وزخرفة، والثقافة كتابيةً وشعاراً، إلا أن المادة التاريخية لا تسعفنا في رسم صورة متكاملة عن الموضوع.

أ-مظاهر التأثير النورماني في الحكم والمجتمع.

أبدى النورمان استعداداً وتقبلاً لثقافة العرب المسلمين في صقلية، خلال فترة حكمهم لبلاد المغرب، خاصة في فترة حكم رُوجار الثاني، حيث أبقى هذا الأخير على استعمال اللغة العربية في الإدارة والدواوين والوثائق. (جمعة محمد مصطفى الجندي، 2002، ص. 60).

واستعان في حكم بلاد إفريقية بسكان البلاد، وترك لهم حرية ممارسة الحكم، مع أخذ الرهائن إلى بلادهم لتقييدهم بواجب الطاعة والولاء، وفرض عليهم التحصيل المالي بفرض الجباية، ولم يغيّر من الوضعية الإدارية والقانونية، وترك للسكان حرية التصرف في شؤونهم المدنية ومن ذلك القضاء، وممارسة شعائرهم الدينية التعبدية، واستخدم روجار وأتباعه من بعده المظلة التي كانت مشهورة عند الفاطميين، وهي شبه درقة في رأس رمح محكمة الصنعة يمسكها فارس من الفرسان يعرف بها، فيقال له صاحب المظلة، فيحاذي بها الملك من حيث كانت الشمس ليقية حرّفاً (علي بن محمد بن سعيد الزهراني، د.ت، ص. 10).

وليقرب رُوجار الثاني من رعاياه بإفريقية أيضاً، أضاف إلى ألقابه ملك إفريقية RexAfricae، وبصقلية سعى نفسه المعتز بالله، وتلقب خلفاؤه من بعده بألقاب عربية، لإضفاء الشرعية على سلطانهم تجاه رعاياهم المسلمين، فوليام الأول (548 . 560هـ / 1154 . 1166م)، حمل لقب الهادي بأمر الله، وحمل وليام الثاني (حكم سنة 1166 . 1189م) المستعز بالله، وقد ظهرت هذه الألقاب في مسكوكاتهم، واستخدم النورمان لقب أمير، ويعتبر هذا المنصب أسمى المناصب في الدولة، وكان يتقدم المستشار. (أحمد عزيز، 1980، ص. 73، 75، Tommaso Indelli. r.t.P. 7).

ويقابله عند النورمان بمصطلح الأدميرال، ففي عهد رُوجار الثاني (495 . 548هـ / 1101 . 1154م)، تولى بعض القادة العرب هذا المنصب منهم عبد الرحمن النصراني، الذي عرف بإسم كريستو دولوس chrislodulas، تولى قيادة الأسطول والمشاة، ثم خلفه جورج الأنطاكي، الذي عرف بموهبة في الإدارة والتسيير والاقتصاد، وإتقان العديد من اللغات ومنها العربية واليونانية واللاتينية، خدم بني زيري ثم فر إلى صقلية، واستعان به رُوجار الثاني في إدارة شؤون المملكة وقيادة الأساطيل،

ولقب بأمرأ البحر، واستطاع أن يغزو مدن المغرب ومنها طرابلس والمهدية، وينهي حكم بني زيري، وظل في خدمته مخلصاً للدولة النورمانية قرابة أربعين سنة، ما جعل رُوجار الثاني يطلق عليه بالشخصية الأولى في المملكة. (هونكة زيفرد، 1993، ص. 414، 415، سليمان داود بن يوسف، 1993، ص. 43).

#### ب- مظاهر التأثير النورماني في مجال الثقافة.

حاول رُوجار الثاني ( 495 . 548 هـ / 1101 . 1154 م ) أن يتقرب من رعاياه الجدد في إفريقية كما حدث في صقلية، فاختار النقوشات والكتابات التي تكتب على عملته عبارة يفهم منها من سيحكم إفريقية. (جمعة محمد مصطفى الجندي، 2002، ص. 60) وضرب نقوداً عربية الصبغة والوزن والطراز، قلدها فيها سكة الفاطميين، ورسم في وسطها اسمه، وألقابه وشاراته الخاصة، متبعاً في ذلك من الملوك المسلمين. (عبد الوهاب حسن حسني، 1981، ص. 451)، حاول أن يثبت حسن نواياه تجاه المسلمين الخاضعين لحكمه، بعبارات هي رمز عزهم وعِماد دينهم، فالإبقاء عليها من خلال العملة يُوجي بمكانتهم. (علي بن محمد بن سعيد الزهراني، د.ت، ص. 7).

والملاحظ أن النورمان عند احتلالهم لصقلية، وخلال حكم ملوك الثلاثة الأوائل (روجار الأول، وروجار الثاني، ووليام الأول)، ظلت العملة الفاطمية (الرباعي)، العملة الرئيسية المتداولة، كما سَكوا عملة تشتمل على كتابات عربية، وشعارات إسلامية، مدوّنة عليها بالتاريخ الميلادي والهجري عرفت باسم طري Tari، وكانت كالرباعي، شكلاً وقيمة. (أمين توفيق الطيبي، 1990، ص. 128، صلاح البهنسي، 2004، ص. 39).

وكان سبب إبقاء النورمان على العملة الإسلامية بتداولها ورسم شعاراتها، الحفاظ على استقرار الوضع الاقتصادي، بإستمرار الحركة التجارية بين صقلية وبلاد المغرب، وفي محاولة لتهدئة وجبر الخواطر بعد الغزو، وإظهار المسألة لاستمالة السكان، وتحقيق الإستقرار والحفاظ على الأمن.

ومن الأمثلة التي تؤكد على استعمال النورمان الكتابات والشعارات الإسلامية في العملات التي ضربت ببلاد المغرب، الديناران اللذان ضربا في المهديّة بعد احتلالها، الأول كان في عهد رُوجار الثاني (495 . 548 هـ / 1101 . 1154 م)، الذي تلقب بالمعز بالله، وكُتِب عليه في الدائرة الأولى، الحمد لله حق حمده، وكما هو أهله ومستحقه، وفي الدائرة الثانية، ضُربَ بأمر الملك المعظم رُوجار المعز بالله بمدينة المهديّة سنة 543 هـ / 1148 م، وفي الوسط من الوجه الأول (المعز بالله)، وفي القفا في الدائرة الأولى الحمد لله حقّ حمّده، وفي الدائرة الثانية ضُربَ بأمر الملك المعظم رُوجار الثاني، وفي الوسط الملك رُوجار، ويتولي وليام الأول ( 548 . 560 هـ / 1154 . 1166 م )، اقتفى أثره أبيه في ضرب الدينار بالمهديّة. (عبد الوهاب حسن حسني، 1981، ص. 453، جمعة محمد مصطفى الجندي، 2002، ص. 60).

#### ج . مظاهر التأثير النورماني في مجال العمران

اهتم الأمراء الصنهاجيين بالعمارة بالمغرب الأدنى والأوسط، وشملت بناء المدن وترميم بعضها، وبناء القصور والحصون والقلاع الدفاعية، ولعل أهم المدن التي بُنيت، نذكر أشير، والقلعة، وبجاية، بهدف رد أي عدوان سواء من الداخل، وبخاصة خطر النورمان الذين يغيرون على مدن الساحل. (الهادي روجي إدريس، 1992، ص. 431).

في حين اهتم النورمان بالعمران وكان لهم طراز خاص، له سمات تعود إلى زمن استقرارهم بنورمنديا في شمال غرب فرنسا (حسين مؤنس، 1986 ص 180)، وبدخولهم صقلية زاد اهتمامهم، وتمثل مظهره في بناء القصور الملكية التي كانت مستقراً للحكام، ومن هذه القصور، قصر الفوارة، وقصر العزيزة، وقصر القبة، وبناء الحمامات والكنائس وزخرفتها، ومسكن الأفراد، وإحاطة المدن بالأسوار والحصون لحمايتها. (الإدريسي محمد الشريف، 1866، ص. 148، عباس إحسان، 1975، ص. 269).

وإذا حاولنا إبراز مدى التأثير الحضاري في مجال العمران بين بلاد المغرب تحت حكم الصنهاجيين، وصقلية في ظل الحكم النورماني، فسبر أغوار هذا البحث تعتريه بعض الصعوبات، فالمصادر التي تناولت الموضوع، لا تسعفنا بالقدر الكافي من المعلومات إلا بما نزر، وهي في مجملها نتف وشذرات متفرقة بين بطون المصادر، تحتاج إلى جمع.

وقد أشار الباحث إبراهيم القادري بوتشيش وجُود علاقات حضارية بين بلاد المغرب والنورمان، تعكس التأثير في مجاله العمراني في زمن مبكر، حدث هذا زمن تحركاتهم الأولى، وغزوهم للسواحل الأندلسية، وبمرورهم ببلاد المغرب، كان لهم اتصالٌ بساكنتها، ودليل ذلك، أن بعض المواقع الأثرية تشهد على ذلك الاتصال، فأحد أبواب مدينة أصيلة، ظلَّ يحمل اسم باب المَجُوس، نسبة إلى الجماعات النورمانية التي قدمت إلى هذه المدينة المغربية، والتي كان لها احتكاك بأهلها. (إبراهيم القادري بوتشيش، 2006، ص. 160).

وتحت عدة ظروف، تحرك النورمان من منطقتهم نورمنديا، بإتجاه جنوب إيطاليا التي كانت تحت حكم البيزنطيين وانتزعوا أجزاء منها، وتمكنوا احتلال صقلية استولوا على ما ملك المسلمين بها من قصور وحمامات وفنادق ودكاكين ومساجد، وحافظوا على عمران المدينة وطابعها، ولم يعمدوا إلى تدميرها، لما كان في نيتهم الاستقرار، وما يدل على عدم التخريب صياغة الكلمة في المصادر الإسلامية (فتحها، تملكها، ملكها) إلا فيما تعلق بتحويل المسجد الجامع إلى كتدرائية مسيحية، مع إجراء تعديلات تتلاءم والطقوس المسيحية. (ابن حوقل محمد بن علي، 1992، ص. 114، 113، ابن الأثير عز الدين، 2003، ص. 474. ابن خلدون عبد الرحمن، 2000، ص. 269).

ويبدو أن تأثر النورمان وإنهارهم بالحضارة العربية الإسلامية في صقلية كان واضحا، لما لها من إرث تاريخي كبير، وللشعوب التي تعاقبت على حكمها، وهي التي تغذت أيضا برافد الاتصال مع بلاد المغرب لفترة سابقة تعود إلى زمن الفتح الإسلامي، وحفاظهم على ما كان موجودا، إنما هو اعترافا منهم بقبول ثقافة المتفوق حضاريا والاستفادة منه.

وعكس العمران التأثير العربي الإسلامي الذي ظل بارزا حتى نهاية القرن 6هـ / 12م، وكانت ما تزال تلك المدن التي حوت مساجد وقصورا وحمامات ومباني على الطراز الإسلامي، فمدينة بلرم كانت تنقسم إلى قسمين، القصر والمدينة المسورة، التي سماها النورمان المدينة، وكلا من القصر والمدينة المسورة، تضم قصورا ومنشآت عمرانية. (أحمد عزيز، 1980، ص. 113).

ويصف الإدريسي القصر والحصن المحاط به بقوله: «والقصر المذكور، من أحدث القصور منعة، وأعلاها رفعة...محدث للملك المعظم روجار، مبني بالفصوص الجافية، والصخور المنحوتة الضخمة، وقد أحكم نسقه، وأعليت رقبه، وأثقت منائره، ومحاريسه، وأثقت قصوره، ومجالسه، وشيدت بنيانا، ونمقت بأعجب من مباني المدينة» (الإدريسي محمد الشريف، 1866، ص. 148).

وعلى ضوء نص الإدريسي، أن هذا القصر محدث، تم بناؤه في عهد روجار الثاني (495 . 548هـ / 1101 . 1154م)، وهو المسمى بقصر الفوارة Favara، أمر روجار ببنائه على أرض واقعة على فرسخ من بلرم، ووصف بأنه مجموعة من المباني، تحيط به بركة ماء اصطناعية، وضع فيها السمك من كل نوع، إحتوي على مجموعة نوافير تزود القصر بالمياه، تأخذ منابعها من الجبال، وتتميز بفنه المعماري المزين بالفسيفساء (أحمد عزيز، 1980، ص. 112، عباس إحسان، 1975، ص. 269).

ومن القصور النورمانية التي حاكت الطابع العمراني المغربي قصر القبة La cuba في بلرمو، شيده وليام الثاني (حكم 1166 . 1189م)، من الحجر الجيري الجيد، والتفاصيل المعمارية لهذا القصر المستطيل الشكل تذكر بقصور بني حماد (أحمد عزيز، 1980، ص. 115، 116، فائق بكر الصواق، 1983، ص. 134، 135)، وحدث ذلك التأثير نتيجة للقرب الجغرافي بين بجاية الحاضرة وصقلية النورمانية، ولنشاط حركة السفن البحرية، حيث أورد صاحب الاستبصار ذلك بقوله: «ومنها ثغر

بلاد الروم، فإنها ليس بينها وبين صقلية سوى 3 مجار...وهي محط سفن الروم»، وفي وصفه قصور بجاية، وهندستها والمواد المستعملة بقوله: « فيها الطاقات المشرفة على البحر، عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة المحنية، والمجالس المقرنة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أسفلها إلى أعلاها » ( مؤلف مجهول، د.ت، ص. 130 ).

وتتميز الطابع المعماري لقصر القبة La cuba، بارتفاع تجاويف الحائط من أرض القصر إلى سقفه، وتنقسم واجهة البناء، وتحيطها حاشية مزخرفة، كما هو الحال في مباني الفاطميين بالمهدية. (أحمد عزيز. 1980 ص 115)، وكان الفاطميون قد اتصل بهم بالفن الأغلي، وأقزوه وواصلوه، واعتمدوا على الزخرفة السطحية الرامية إلى تركيز نفوذهم ودعوتهم. (الهادي روجي إدريس، 1992، ص. 432).

وشيد وليام الأول ( 548 . 560 هـ / 1154 . 1166 م )، أيضا قصرا ثانيا عرف بقصر العزيزية la ziza، وأتم بناؤه ابنه وليام الثاني ( حكم 1166 . 1189 م )، وهو بناية مستطيلة الشكل، به ثلاث منصاتٍ من الأقواس المنحنية ذات رؤوس مشوهة في إطار مستطيل الشكل، وعلى الواجهة حاشية مكتوبةً منقوشةً، وفي الداخل توجد قاعتان كبيرتان أحدهما تعلوا الأخرى، وتحيط بالقاعتين وعلى جوانبها حجرات أصغر حجما وأقل ارتفاعا، وكان بالقاعة في الطابق الأرضي قبو ذو كوى، وكانت القاعة في الطابق الأول مغطاة بالكوى، كقصور بني حماد، والقبو ذو المظلات مقتبس عن الطراز المعماري الصنهاجي ( أحمد عزيز، 1980، ص. 116، 115، فائق بكر الصواق، 1983، ص. 134، 135 ).

إلا أن الباحثين، أشاروا إلى تأثير ومحاكاة النورمان لعمران بجاية، وما حوته من روائع هندسية وفنية ونقوشات، فكانت قصور زينة وكوبة شديدي، شديدة الشبه بقصور اللؤلؤة والكوكب وأميمون في بجاية (عبد الحليم عويس. 1991 ص 284، رابح بونار. 2000 ص 15)، وعاد هذا التشابه، ربما إلى انتقال العمال والصناع إلى صقلية بعد أن رحب بهم ملوك النورمان وخاصة روجار الثاني، أو إلى إشراف المسلمين على البناء والتشييد.

التأثير مماثل في قصور بني حماد بالقلعة (المعاضيد بالمسيلة)، التشييد الأول للحمايين قبل انتقالهم إلى بجاية، فقد أكد الباحث بول بلونشي Paul Blanchet بعد دراسة آثار الحمايين. ورسم المخططات، وتحديد المواقع، تشابه معالم القلعة، ومعالم صقلية. (علاوة عمارة، 2008، ص. 34).

وامتد التأثير المغربي من البناء والهيكل وزخرفة القصور إلى زخرفة الكنائس الدينية، حيث يورد الباحث أحمد عزيز في مؤلفه تاريخ صقلية الإسلامية، أن من بين المظاهر المعمارية المقتبسة عن المعمار في شمال إفريقيا، الأعمدة المزخرفة ذات الأطواق البارزة في أعلاها، ويوجد عمودان من هذا القبيل في كنيسة لامرتورانا (صقلية)، وعمودان آخران في متحف بلرم (أحمد عزيز، 1980، ص. 115).

##### 5- الخاتمة:

ومن خلال عرضنا ما حوته بطون المصادر وآراء الباحثين والدارسين لموضوع الصلات الحضارية بين صقلية النورمانية وبلاد المغرب وبعد التحليل يمكن القول: كان هناك تواصل حضاري بين النورمان (الشعوب الإسكندنافية) في صقلية وبلاد المغرب، تحت حكم الصنهاجيين من الزيريين والحمايين ( صنهاجة الشمال ) زمن استقرار النورمان بصقلية، ساعد القرب الجغرافي والارتباط الثقافي الوثيق الذي جمع صقلية وبلاد المغرب، تعود جذوره إلى زمن الفتح الإسلامي، ووجود غالبية سكانية كبيرة من المسلمين بها تقوى هذا التواصل باضطراب وضع صقلية الداخلي والخارجي، ثم بسقوطها في يد النورمان، مما أدى إلى هجرة علمائها وأدبائها ( النخبة العاملة ) إلى بلاد المغرب، كان لها الأثر الإيجابي في تفعيل الحركة العلمية، يضاف سياسة التسامح التي انتهجها النورمان مع الشعوب والمجموعات السكانية، المقيمة والمستقرة في صقلية أو التي رحلت إليها، والاستفادة

من خبرات المسلمين من علماء وأدباء كانوا أو صناع، أو قادة بحريين، تحت تأثير الحاجة إليهم، وتهدئة للخواطر، وضمائنا للأمن والاستقرار، وبدًا تأثر النورمان واضحا ينظم الحكم العربية الإسلامية، وبسك العملة التي حملت كتابات وشعارات إسلامية، وبالبنا والعمران المغربي، هندسة وزخرفة، أبدى النورمان فيه تقبلا لثقافة الآخر، لحد ما تنطبق عليهم مقولة ابن خلدون، المغلوب حضاريا مولع بتقليد الغالب، وما يحسب لهم أنهم لم يكوّنوا معادين لأهل الحضارات بالتخريب، وإن ارتبط غزوهم بالمغنم والمكسب، وصفوة القول: أن النورمان استفادوا من إقامة جسر للتواصل الحضاري، وقبول الطرف الآخر الذي أظهر تفوقا، وهذا ما لا ينطبق مع الشعوب الغازية، التي تتفنن في تهميش وأبعاد الخاضع لسيطرتها وسطوتها.

#### 6- قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن الشيباني الجزري. (2003). الكامل في التاريخ. لبنان. دار الكتب العلمية.
2. أحمد عزيز. (1980). تاريخ صقلية الإسلامية. ط1. تونس. الدار العربية للكتاب.
3. أمين توفيق الطيبي. (1990). دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية. ط1. طرابلس. ليبيا. دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الجامعية.
4. إبراهيم حركات. (2000). مدخل إلى تاريخ العلوم بالغرب المسلم حتى القرن 9هـ / 15م. الدار البيضاء بالمغرب. دار الرشاد الحديثة.
5. إبراهيم القادري بوتشيش. (2006). حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي. ط1. بيروت. لبنان. دار الطليعة للنشر والتوزيع.
6. تقي الدين عارف الدوري. (1989). دور صقلية في نقل التراث الطبي إلى صقلية، مجلة المؤرخ العربي. العدد 29.
7. توفيق أحمد المدني. (د.ت). المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا. تونس. مكتبة الاستقامة.
8. جمعة محمد مصطفى الجندي. (2002). علاقة نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال إفريقيا خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. كلية التربية جامعة عين شمس. الحولية الثالثة والعشرون.
9. حسين مؤنس. (1986). تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس. ط2. مكتبة مدبولي.
10. ابن حمديس عبد الجبار الصقلي. (د.ت). ديوان ابن حمديس. بيروت لبنان. دار صادر.
11. ابن حوقل محمد بن علي أبو القاسم النصيبي. (1992). صورة الأرض. بيروت. لبنان. منشورات مكتبة الحياة.
12. ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد. (1964). تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام. الدار البيضاء. المغرب. دار الكتاب.
13. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي. (2000). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت. لبنان. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
14. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. (1994). وفيات الأعيان. بيروت. لبنان. دار صادر.
15. الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي. (د.ت). معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. تونس. المكتبة العتيقة.
16. ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني. (1286هـ). المؤنس في أخبار إفريقيا. ط1. تونس. مطبعة الدولة التونسية.
17. راجح بونار. (2000). المغرب العربي تاريخه وثقافته. ط3. عين مليلة. الجزائر. دار الهدى.
18. رشيد بورويبة. (1999). الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.

19. رشيد تومي. (2011). النورمان والمسلمون في جزيرة صقلية في عهد الكونت روجر. مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب. العدد 12.
20. سليمان داود بن يوسف. (1993). حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي. مطبعة أبو داود.
21. شحادة الناظور وعودات أحمد وبيوض جميل. (1989). مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عمان. الأردن. دار الأمل للنشر.
22. الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك. (2000). الوافي بالوفيات. ط1، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
23. صلاح الهنسي. (2004). الآثار الإسلامية في صقلية. برزيم.
24. الصواق فائق بكر. (1983). بعض مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في جزيرة صقلية، مجلة الدراسات التاريخية دمشق. العدد 12.
25. عباس إحسان. (1975). العرب في صقلية. ط1. بيروت. لبنان. دار الثقافة.
26. أبي عبد الله محمد الشريف الإدريسي. (1866). نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة بريل ليدن.
27. عبد الوهاب حسن حسني. (1981). ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية. ط2. تونس. مكتبة المنار.
28. ابن عذارى أبو العباس أحمد. (1983). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. ط3. بيروت لمبنان. دار الثقافة.
29. علاوة عمارة. (2008). الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة والتاريخ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية. العدد 9. قسنطينة. الجزائر.
30. علي بن محمد بن سعيد الزهراني. (1996). الحياة العلمية في صقلية الإسلامية. معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامية. المملكة العربية السعودية.
31. علي بن محمد بن سعيد الزهراني. (د.ت). الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان بين التسامح والاضطهاد 444 . 591هـ / 1052 . 1194م، منشورات كلية الشريعة. جامعة أم القرى.
32. ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد الدمشقي. (د.ت). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت. لبنان. دار ابن كثير.
33. عياض القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي. (1882). الغنية. ط1. بيروت. لبنان. دار الغرب الإسلامي.
34. فون شاك. (1980). الفن العربي في إسبانية وصقلية. القاهرة. دار المعارف.
35. ابن قنفذ أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني. (1983). الوفيات. ط4. بيروت. لبنان. منشورات دار الأفاق الجديدة.
36. مصطفى حاجي خليفة. (د.ت). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
37. ابن مكي الصقلي أبي حفص عمر بن خلف. (1990). تنقيف اللسان وتنقيح الجنان. ط1. بيروت. لبنان، دار الكتب العلمية.
38. مؤلف مجهول. (1986). الاستبصار في عجائب الأمصار. العراق. دار الشؤون الثقافية العامة.
39. ميخائيل أماري. (1857). المكتبة الصقلية في التاريخ والبلدان والتراجم والمعاجم. بيروت. دار صادر.
40. ميلود حاميداتو. (2014). أثر الحضارة العربية في صقلية وجنوب إيطاليا منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط النورمند، رسالة ماجستير. جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله. الجزائر.
41. نجيب زبيب. (1995). الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس. بيروت. لبنان. دار الأمير للثقافة والعلوم.
42. الهادي روجي إدريس. (1992). الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م. ط1. بيروت لبنان. دار الغرب الإسلامي.
43. هونكة زغيريد. (1993). شمس العرب تسطع على الغرب. بيروت. دار الجيل الطبعة الآمنة.



44. Cristina Montesi. (2015). *La dinastia normanna nell'Italia meridionale. un esempio di convivialismo. di sviluppo economico. di innovazione istituzionale. Quaderni di Economia Sociale pubblicazione online di SRM Reg. Trib. di Napoli n°37.*
45. Fernández Peral Álvaro. *Los Vikingos* Universidad de Almería. Trabajo Fin de Grado. La recepción del mundo vikingo. Una aproximación sociocultural. Convocatoria, Septiembre, Tutora - García Pardo. Manuela.
46. Martine Cohen-Hadria. (2001). *Al-Idrîsî. une vision du monde méditerranéen au XIIe siècle : journal d'exposition. Mss o arabe 2221. Édité par Bibliothèque nationale de France. [Paris. Site François Mitterrand, Petite galerie. 16 octobre 2001.*